

الرسول والشعر

للإمام يوسف العظم

يلقى الباحث في ثنانيا سنة الرسول ﷺ عدداً من الأحاديث والآثار بعضها يشير إلى ثناء الرسول الكريم خيراً على الشعراء ، وحثه لهم على قول الشعر فيما ينصر الدعوة ، ويعلي كلمة الله ، ويدعو إلى الأخوة والمحبة والهدى ، وبعضها يشير إلى استهجان الشعر ، والدعوة إلى تركه ، والحث على هجر قوله أو الاستماع له .

وقد حملت دعوة الرسول في حديث له إلى ترك الشعر بعض أصحاب الرأي على القول بهجر الشعر ، ونبذ الشعراء ، وإصدار الأحكام بلا تحقيق علمي ، أو سند شرعي مدروس .

إن التناقض الموهوم بين الرأيين أو الدعوتين : التشجيع على قول الشعر ، والحث على تركه ، لا يقوم بحال أبداً ، ذلك أن التشجيع على قول الشعر وروايته ، أو الحث على هجره وتركه يرجعان إلى نوعية الشعر ، وغرضه وغايته ، وهو ما أشرنا إليه في ثنانيا هذا البحث ، وما حاولنا توضيحه وتبيينه .

فالشعر الصالح المعبر عن وجدان الشاعر وعواطفه وأحاسيسه في الخير والهدى هو الذي أحب الرسول الكريم أن يستمع له ، وحث الشعراء المؤمنين على قوله ، والشعر السيئ المعبر عن منكر ، أو الداعي إلى فحش وباطل هو الذي نهى الرسول عن قوله ، أو الاستماع له والإصغاء لمنشده أو راويه .

الرسول الكريم يسر بالشعر الحسن

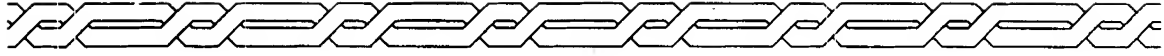
لقد استمع الرسول الكريم لكثير من الشعر ، سواء ما ألقى بين يديه ، أو ما رغب هو في أن يسمعه واستزاد منه ، ومن أشهر من كان يستمع لشعرهم ، حسان بن ثابت ، وعبد الله بن رواحة ، وكعب بن مالك ، وكعب بن زهير ، رضي الله عن شعراء الدعوة أجمعين .

« عن الشريد رضي الله عنه قال : ردت رسول ﷺ فقال :

هل معك من شعراًمية بن أبي الصلت شيء ؟ قلت : نعم ، قال : هيه ، فأنشدته بيتاً فقال : هيه ، ثم أنشدته بيتاً فقال : هيه حتى أنشدته مائة بيت » (١) .

ولعمري كيف يمكن لرسول الله ﷺ

(١) رواه مسلم ١٧٦٧/٤



أن يحرم الشعر، أو لا يرغب فيه، وهو على مثل هذا الإعجاب، والرغبة في سماعه، ومن شعر رجل مشرك كان بينه وبين الإسلام خصومه وعداء.. وقد روى جابر بن سمرة رضي الله عنه قال (١): جالست النبي ﷺ أكثر من مائة مرة، فكان أصحابه يتناشدون الشعر، ويتذكرون أشياء من أمر الجاهلية، وهو ساكت، وربما تبسم معهم. (٢)

ومثل هذا الحديث يشير إلى كثرة ما كان يستمع النبي له من الشعر يتناشده أصحابه فيما بينهم، بعد أن عرفنا أنه ﷺ كان يرغب في أن يستمع للشعر الجيد من أصحابه. « قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يخصف نعلَهُ وكنت جالسةً أغزل، فنظرت إليه فجعل جبينه يعرق، وجعل عرقه يتولد نوراً قالت فبهت فنظر إلي فقال: مالك بهت؟ فقلت: يا رسول الله، نظرت إليك فجعل جبينك يعرق، وجعل عرقك يتولد نوراً، ولو رأيك أبو كبر الهذلي لعلم أنك أحق بشعره. قال: ما يقول يا عائشة أبو كبر الهذلي؟ قالت: هذين البيتين:

ومبرأ من كل غُبر حيضة

وفساد مرضعة وداء مغيل

وإذا نظرت إلى أسرة وجهه
برقت كبرق العارض المتهلل
قالت: فوضع ﷺ ما كان بيده، وقام إليّ، وقبل ما بين عيني وقال: جزاك الله خيراً يا عائشة ما سررت مني كسروري منك» (٣)

أي قمة سامقة من الخلق النبوي الرفيع يبلغ بهاربُ العزة نبيه، وأي مستوى كريم من الروح الإنساني يتحلى به صلوات الله وسلامه عليه!

قمة التواضع أن يخصف سيد الخلق نعله بيده، وأن تغزل زوجه البرة الطاهرة ثوبها بيدها، بل إن ذلك هو المنهج العملي السليم الذي يضعه صلوات الله عليه لمن أراد أن يحكم أمة، أو يقود شعوباً، أو يوجه الضائعين من الخلق.

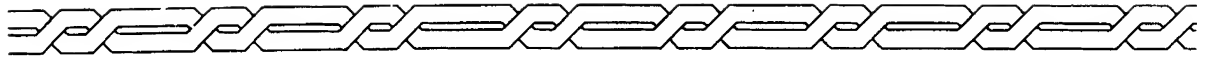
وقمة الحنان أن تتطلع عائشة الإنسانية إلى جبين محمد الإنسان، فتحب تلالو العرق على جبهته الشريفة، وتبهت لذلك الجمال النبوي الطاهر.

وقمة الحب أن يكافيء الرسول زوجه بتقبيل ما بين عينيها على حنانها وذكرها له بما

(١) رواه الترمذي.

(٢) كانوا يذكرون بعض أحوالهم في الجاهلية ساخرين مما كانوا يصنعون من عبادة الأصنام وغيرها.

(٣) رواه البيهقي في دلائل النبوة.



حسن من المعاني ، وما جل من الوصف ، مما
حمله على الدعاء لها : جزاك الله خيراً
يا عائشة ، ما سررت مني كسروري منك !

إن الوسيلة الأدائية لذلك كله
والأسلوب التعبيري الذي ، أثار الحنان والحب ،
وحرك الوجدان والمشاعر في قلب النبي ﷺ
ونفس الصديقة بيتان من الشعر ، تمثلت بهما أم
المؤمنين رضوان الله عليها بين يدي سيد الخلق
وخاتم النبيين !

وخرج ابن جرير عن عروة أن حكيم
بن حزام رضي الله عنه خرج إلى اليمن
فاشترى حلة ذى وزن ، فقدم بها المدينة على
رسول الله ﷺ فأهداها له ، فردها رسول الله
ﷺ وقال : « إنا لا نقبل هدية مشرك »
فباعها حكيم ، فأمر رسول الله ﷺ فاشتريت
له فلبسها ثم دخل فيها المسجد ، قال حكيم :
فما رأيت أحداً قط أحسن منه فيها ، لكانه
القمر ليلة البدر !

فما ملك نفسي حين رأيته كذلك أن
قلت !

وما تنظر الحكام بالحكم بعدما
بدا واضح ذو غرة وحجول
إذا قايسوه المجد أربى عليهم
كمستفرغ ماء الذناب سجيل

فضحك رسول الله ﷺ^(١)

الشعر بين يدي الرسول الكريم

لقد كرم رسول الله ﷺ الشعر بأن
استمع له حتى في مسجده ، ما دام ذلك الشعر
وسيلة من وسائل الخير ، وأسلوباً من أساليب
البناء .

« عن أنس رضي الله عنه أن النبي
ﷺ دخل مكة في عمرة القضاء ، وعبد الله بن
رواحة بين يديه يمشي ويقول :

خلوا بنسي الكفار عن سبيله
اليوم نضربكم على تنزيله
ضرباً يزيل الهام عن مقيله
ويذهل الخليل عن خليله

فقال له عمر : يا ابن رواحة ! بين
يدي رسول الله ﷺ وفي حرم الله تقول
الشعر ؟ فقال له النبي ﷺ : « خل عنك
يا عمر فلهي أسرع فيهم من نضح النبل »^(٢)
وقد ورد أنه ﷺ ، لما جاءه بنو تميم

وشاعرهم الأقرع بن حابس نادوه ، يا محمد
اخرج إلينا نفاخرك ونشاعرك ، فإن مدحنا زين
وذنمنا شين ، فلم يزد ﷺ على أن قال : ذلك
الله إذا مدح زان وإذا ذم شان ؛ إني لم أبعث بالشعر ،
ولم أومر بالفخر ولكن هاتوا ، فأمر الرسول
ﷺ ثابت بن قيس أن يجيب خطيبهم ،

(١) حياة الصحابة : ٤٥٧/٢ / وقد أخرجه الطبراني عن حكيم بن حزام .

(٢) رواه الترمذي .



فخطب فغلبهم ، فقام الأقرع بن حابس
فقال :

أتيناك كما يعرف الناس فضلنا
إذا خالفونا عند ذكر المكارم
وأنا رؤوس الناس من كل معشر
وأن ليس في أرض الحجاز كدارم

فأمر رسول الله حسانا يبيهم فقال :
بنسي دارم لا تفخروا إن فخركم
يعود وبالا عند ذكر المكارم
هبلتم علينا تفخرون وأنتم
لنا خول ما بين قن وخادم

إن رسول الله بذلك يقرر حقيقة أنه
نبي لا شاعر ، لكنه لا يرفض أن يستمع لخطيب
القوم وشاعرهم ، بل نراه يصدر أمره لصحبه من
حوله أن ينبروا للرد على القوم بأسلوبهم الذي
يعرفون ، ولغتهم التي يفهمون ، ويغلب خطيب
رسول الله خطيبهم ، وينتصر شاعر النبي
الكريم على شاعرهم ويدخل القوم في الإسلام
استجابة لقولة الحق ونداء الدعوة موزوناً مقفى
على لسان خطيب أو لسان شاعر .

قال ابن حجر : وفي الحديث حل
إنشاد الشعر بالمسجد بل ندبه إذا اشتمل على
مدح الإسلام وأهله ، أو هجاء الكفار وتحقيرهم

والتحريض على قتالهم ، وندب الدعاء لمن قال
شعراً كذلك .

وإذن فالأمر لا يقف عند حد الإباحة
بل الندب والحث والدعاء بالخير وحسن الخاتمة
وطيب الجزاء للشاعر الذي يقول خيراً وينشد براً
ومرحمة .

عن يزيد بن عمرو بن مسلم الخزاعي
عن أبيه عن جده قال : دخلت على النبي
ﷺ ومنشد ينشده قول شريك بن عامر
المصطلقى :

لاتأمنن وإن أمسيت في حرم
إن المنايا تحمى كل إنسان
فاسلك طريقك تمشي غير محتشم
حتى تلاقي الذي منى لك الماني
فكل ذي صاحب يوماً مفارقة
وكل زاد وإن أبقيته فان
والخير والشر مقرونان في قرن
بكل ذلك يأتيك الجديدان
فقال النبي ﷺ : لو أدرك هذا
الاسلام لأسلم^(١)

وأنشد بيت طرفه للنبي ﷺ :
ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً
ويأتيك بالأخبار من لم تزود
فقال ﷺ : هذا من كلام النبوة^(٢)

(١) العقد الفريد ٣ - ٢٨٣

(٢) العقد الفريد ٣ - ٢٨٠

لأفرينهم بلساني فرى الأديم ، فقال رسول
الله ﷺ : لا تعجل فإن أبا بكر أعلم قريش
بأنسابها ، وإن لي فيهم نسباً حتى يلخص لك
نسبي فأتى حسان ثم رجع فقال : يا رسول الله
قد لخص لي نسبك ، والذي بعثك بالحق
لأسلئك منهم كما تسل الشعرة من العجين ،
فقال رسول الله ﷺ : إن روح القدس لا يزال
يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله . قال حسان
رضي الله عنه :

هجوت محمداً فأجبت عنه
وعند الله في ذاك الجزاء
هجوت محمداً برأ حنيفاً
رسول الله شيمته الوفاء
فإن أبي ووالده وعرضي
لعرض محمد منكم وقاء
شكلت بنيتي إن لم تروها
تشير النقع من كنفى كداء
يبارين الأعنة مصعدات
على أكتافها الأسل الظاء
تظل جياننا متطرات
تلطمهن بالخمر النساء
فإن أعرضتمو عنا اعتمرنا
وكان الفتح وانكشف الغطاء
وإلا فاصبروا لضراب يوم
يعز الله فيه من يشاء

وسمع النبي ﷺ عائشة وهي تنشد
شعر زهير بن جناب تقول :
ارفع ضعيفك لا يحل بك ضعفه

يوما فتدركه عواقب ما جنى
يجزيك أو يثني عليك فإن من
أثنى عليك بما فعلت كمن جزى
فقال النبي ﷺ : صدق يا عائشة
لا شكر الله من لا يشكر الناس ،^(١)

وأخرج البيهقي عن عائشة - رضي
الله عنها - يقول : لما قدم رسول الله ﷺ
المدينة جعل النساء والصبيان يقلن : -

طلع البدر علينا
من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا
ما دعا الله داع^(٢)

كذا في البداية (ج ٣ ص ١٩٧)
* عن عائشة رضي الله عنها أن
رسول الله ﷺ قال : اهجوا قريشا فإنه أشد
عليها من رشق بالنبل ، فأرسل إلى ابن رواحة
فقال : اهجهم فهاجهم فلم يرض . فأرسل إلى
كعب بن مالك ، ثم أرسل إلى حسان بن ثابت ،
فلما دخل عليه قال حسان ، قد آن لكم أن
ترسلوا إلى هذا الأسد الضارب بذنبه ، ثم أدلع
لسانه وجعل يحركه فقال : والذي بعثك بالحق

(١) العقد الفريد ٣ - ٢٨٢

(٢) حياة الصحابة ٩

وقال الله قد أرسلت عبداً
يقول الحق ليس به خفاء
وقال الله قد يسرت جنداً
هم الأنصار عرضتها اللقاء
يلاقى كل يوم من معد
سباب أو قتال أو هجاء
فمن يهجو رسول الله منكم
ويمدحه وينصره سواء
وجبريل رسول الله فينا
وروح القدس ليس له كفاء
قالت عائشة فسمعت رسول الله ﷺ
يقول : هجاهم حسان فشفى واشتفى (١) .

وقال الله قد أرسلت عبداً
يقول الحق ليس به خفاء
وقال الله قد يسرت جنداً
هم الأنصار عرضتها اللقاء
يلاقى كل يوم من معد
سباب أو قتال أو هجاء
فمن يهجو رسول الله منكم
ويمدحه وينصره سواء
وجبريل رسول الله فينا
وروح القدس ليس له كفاء
قالت عائشة فسمعت رسول الله ﷺ
يقول : هجاهم حسان فشفى واشتفى (١) .

الرسول الكريم يحث القادرين من أصحابه
على قول الشعر

طالما اغتنم الرسول الكريم فرصة
تلوح أو حادثة تقع ليحث أصحابه على قول
الشعر فيها ، سواء أكان أولئك الأصحاب ممن
عرف عنهم قول الشعر موهبة وغزارة عطاء ، أم
ممن تسمح لهم فصاحتهم وفطرتهم العربية
السليمة بأن يقولوه أو يتمثلوا به .

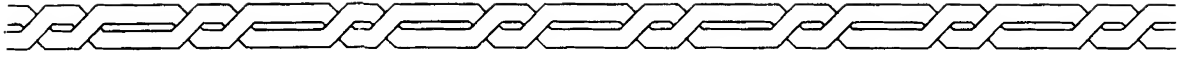
وسواء أكان ذلك الشعر قصائد أم
مقطوعات أم أبياتاً تردد في وصف المؤمنين ، أو
حثهم على العمل الصالح والجهاد الحق ، فإنه

*أخرج ابن عساكر عن طلحة رضي
الله عنه قال : لما كان يوم أحد ارتجزت بهذا
الشعر :
نحن حماة غالب ومالك
نذب عن رسولنا المبارك
نضرب عنه القوم في المعارك
ضرب صفاح الكوم في المبارك
وما انصرف رسول الله ﷺ يوم أحد
حتى قال لحسان رضي الله عنه :
.. (قل في طلحة) - رضي الله عنه -
(فقال) : (٢)

وطلحة يوم الشعب آسى محمداً
على ساعة ضاقت عليه وشقت
يقيه بكفيه الرماح وأسلمت
أشاجعه تحت السيوف فشلت
وكان إمام الناس إلا محمداً
أقام رحي الإسلام حتى استقلت
وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه :
حمى نبي الهدى والخيل تتبعه
حتى إذا مالقوا حامى عن الدين
صبرا على الطعن إذ ولت حماهم
والناس من بين مهدي ومفتون

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) حياة الصحابة ١٢/٢ .



ياطلحة بن عبيد الله قد وجبت

لك الجنان وزوجت المها العين^(١)

وقال عمر رضي الله عنه :

حمى نبي الهدى بالسيف منصلتا

لما تولى جميع الناس وانكسفوا

قال : فقال النبي ﷺ : « صدقت

يا عمر » قال في منتخب الكنز (ج ٥ ص ٦٨)

وفيه سليمان بن أيوب الطلحي - أه - قال ابن

عدى :

عامة أحاديثه لا يتابع عليها ، وذكره

ابن حبان في الثقات كما في اللسان (ج ٣ ص

٧٧) . وقال ﷺ لعبد الله بن رواحة : ما

الشعر يا عبد الله ؟ قال : شيء يختلج في

صدري فينطق به لساني . قال : فأشددني ،

فأنشده شعره الذي يقول فيه :

قبلت لله ما أتاك من حسن

قفوت عيسى بإذن الله والقدر

فقال النبي ﷺ : « وإياك قبلت

له . وإياك قبلت لله »^(٢)

« حدثنا أبو اليان الحكم بن نافع قال

(أخبرنا شعيب عن الزهري قال أخبرني أبو

سلمه بن عبد الرحمن بن عوف أنه سمع حسان

بن ثابت الأنصاري يستشهد أبا هريرة :

أشددك الله هل سمعت النبي ﷺ يقول : يا

حسان أجب عن رسول الله ﷺ اللهم أیده

بروح القدس : قال أبو هريرة : نعم »^(٣) .

* وروى عن البراء رضي الله عنه عن

رسول الله ﷺ : أهج المشركين فإن جبريل

معك - قال لحسان بن ثابت .^(٤)

ولذا عرفنا أن حساناً رضي الله عنه لم

يكن رجل حرب ولا طعان ادركنا فيما يكون

جبريل معه ، يلهمه كلمة الحق ، ويعينه على

نصرة دين الله . وعلى الرغم مما كان عليه

حسان رضي الله عنه من نفور من الحرب أو

القتال^(٥) فقد دعاه الرسول الكريم ﷺ أن

يزجي من بضاعته التي هي أسرع من نضح

النبيل ، وحثه على أن يهجو المشركين ، وأن ينال

منهم حين تنكروا لدين الله ، وحاربوا دعوته

وكذبوا رسوله .

وبذلك يتقبل الرسول الكريم من كل

مسلم طاقته التي يقدم ، وقدرته التي يمنحها

الدعوة سواء أكانت جهاداً بالسيف أم جهاداً

باللسان ، على أن يكون ذلك الجهاد الجسدي أو

(١) المصدر السابق

(٢) العقد الفريد ٣ / ٣٨٥

(٣) رواه البخاري .

(٤) رواه البخاري ومسلم .

(٥) عرضنا ذلك بالتفصيل في فصل خاص بحسان بن ثابت رضي الله عنه .

يخبرك بمثالب القوم ، ثم اهجهم وجبريل معك (٣) .

وفي رواية أنه قال له : لا تعجل وأت أبا بكر فإنه أعلم قریش بأنسائها حتى يمحص لك نسبي (٤) وراح حسان يتسقط أخبار القوم في الجاهلية ويبحث عن مثالبهم ، من جبن وبخل وتقاعس عن النجدة مما كان يعير به العرب . وكان رضي الله عنه يتتبع ذلك مستعيناً بعلماء الأنساب العارفين بأحوال العرب وأيامهم وما كانوا عليه في الجاهلية .

وكان حسان رضي الله عنه يهجو قریشاً أحياناً بالضلالة والتخلف عن الهدى واتباع الهوى وبيع الآجلة بالعاجلة ، وهو بذلك يغرف من بحر الدعوة التي آمن بها ويطعن فيمن تخلف عنها وأدبر ، وفي الحالتين كان حسان رضي الله عنه يبغي وجه الله بإذلال نفوس الكافرين والحد من غطرستهم ، وعنجهيتهم التي كانوا يقابلون بها اتباع الدعوة الجديدة الذين تفتحت أذهانهم ، واستتارت بصائرهم فهجروا عبادة الأوثان الى عبادة الله وحده ، ولقد فعل هجاء حسان فعله فكان أسرع من نضح النبل ، وأشد على نفوس المشركين من وقع الأسنة .

الفكري خالصاً لوجه الله لا يبتغي به سواه .

* « قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه أنه قال للنبي ﷺ : إن الله عز وجل قد أنزل في الشعراء ما أنزل فقال رسول الله ﷺ : « إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه ، والذي نفسي بيده لكان ما ترمونهم به نضح النبل » (١)

وقد أذن النبي الكريم لحسان بن ثابت أن يهجو المشركين ، ودعاء إلى أن يلقي أبا بكر رضي الله عنه العالم بالأنساب حتى يهجو قریشاً وغيرها عن علم ودراية .

* عن حسان قال : « استأذنت النبي ﷺ في هجاء المشركين فقال رسول الله ﷺ : « فكيف بنسبي ؟ » فقلت : لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين » (٢)

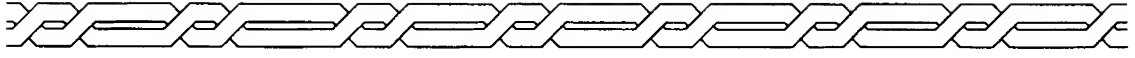
ويروى أن الرسول ﷺ قال : من ينجي أعراض المسلمين ؟ فتقدم حسان مع من تقدموا ، وقال للرسول ﷺ وقد أخرج لسانه : « والله يا رسول الله إنه ليخيل لي أنني لو وضعته على حجر لفلقه ، أو شعر لخلقه » . فقال الرسول ﷺ : أنت له ، اذهب إلى أبي بكر

(١) تفسير ابن كثير

(٢) رواه البخاري .

(٣) العقد الفريد ٣/ ٣٩٥ .

(٤) رواه في الرياض النضرة وقال حديث حسن صحيح ...



الشعر سلاح في المعركة

سار في موكب الدعوة الطافر وفي عهد الرسول ﷺ جمع من شعراء الدعوة مهاجرين وأنصارا ، وكانوا حول رسول الله يلتقون ، يدفعون كلمة السوء ويعلون أصواتهم بالحق ، وليس لهم من طمع في دنيا تزول أو عرض يفني ، ولكنهم يبحثون عن رضوان الله وطمأنينة رسوله ودعوته لهم .

وإذا نالهم أو نال بعضهم جزء من الغنيمة فإن ذلك ليس من أهدافهم التي نحوها يسعون ولكنه عرض في الطريق لا يرد ولو أرادوا أضعافه في معسكر الشرك لوجدوه وأكثر منه لدى أعداء الدعوة ، وفتحت لهم خزائن تجار قريش تغمرهم بالعطاء ، وهو غاية الشعراء من أمثال الأعشى الذي حيل بينه وبين لقاء رسول الله بمائة من الإبل .

* كان جاهلياً قديماً وأدرك الإسلام في آخر عمره ورحل الى النبي ﷺ في صلح الحديبية فسأله أبو سفيان بن حرب عن وجهته الذي يريد فقال : أردت محمدا . قال : انه يحرم عليكم الخمر والزنا والقمار . قال : أما الزنا فقد تركني ولم أتركه ، وأما الخمر فقد قضيت منها وطراً ، وأما القمار فلعلني أصيب منه عوضاً . قال له : فهل لك إلى خير ؟ قال : وما هو ؟ قال : بيننا وبينه هدنة فترجع عامك هذا وتأخذ مائة

ناقة حمراء ، فإن ظفر بعد ذلك أتيت وإن ظفرنا كنت قد أصبت من رحلتك عوضاً . فقال : لا أبالي فأخذه أبو سفيان الى منزله وجمع عليه أصحابه وقال : يا معاشر قريش : هذا أعشى قيس . ولئن وصل الى محمد ليضرم عليكم العرب قاطبة فجمعوا مائة ناقة حمراء فانصرف فلما صار بناحية اليمامة ألقاه بغيره فقتله (١) .

لقد وقف المهاجرون بصبرهم وتضحياتهم إلى جانب النبي الكريم في معركته ضد الباطل ، ولم يتخلف عن ذلك شعراؤهم من أمثال عبد الله بن جحش وأخوه أبو أحمد وعبد الله بن الحارث السهمي وعثمان بن مظعون ، ولم تتخلف شواعر المهاجرين من النساء عن الوقوف بصدق وثبات مع النبي الكريم من أمثال هند بنت أثاثة بن عبد المطلب وصفية بنت عبد المطلب ونعم بنت سعيد زوجة شماس .

وقف الأنصار بسيفهم المشرعة وقلوبهم المؤمنة يفتحونها لرسول الله عليه السلام وصحبه من المهاجرين الأبرار ولم يتخلف من الأنصار شعراؤهم ، بل كانوا طليعة موكب الدعوة وعماد معركتها الكلامية التبليغية الإعلامية من أمثال حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة .

الرسول الكريم يستجيب لاستغاثة الشعر لقد كان للشعر دور في مواقف كريمة

(١) انظر الشعر والشعراء ٢٥٧/١



ذكر بها الرسول الكريم ، منها ما يحرك عاطفته
الصافية ووجدانه الشفيف ويذكره بطفولته وهو
يعلو على صدر ظئره أو يدرج بين يدي مربيته
ومنها ما يذكره بواجبه نحو حلفائه ويدعوه للوفاء
وهو أكرم من وفي بعهد أو صدق بوعد .

ومن حديث زياد بن طارق الجشمي
قال حدثني أبو جرول الجشمي وكان رئيس قومه
قال أمرنا النبي ﷺ يوم حنين فبينما هو يميز
الرجال من النساء اذ وثبت فوقفت بين يديه
وأشدته :

أمنن علينا رسول الله في حرم
فانك المرء نرجوه وننتظر
أمنن على نسوة قد كنت ترضعها
يا أرجح الناس حلما حين يختبر
إننا لنشكر للنعمى إذا كفرت

وعندنا بعد هذا اليوم مدخر
فذكرته حين نشأ في هوازن أرضعوه .
فقال ﷺ أمأما كان لي ولبني عبد المطلب فهو
لله ولكم . فقالت الأنصار : وما كان لنا فهو لله
ولرسوله ، فردت الأنصار ما كان في أيديها من
الذراري والأموال (١) .

* وكان الذي هاج فتح مكة أن عمرو
بن سالم الخزاعي ، ثم أحد بني كعب خرج من
مكة حتى قدم على رسول الله ﷺ . وكانت

خزاعة في حلف النبي ﷺ وفي عهده وعقده .
فلما انتفضت عليهم قريش بمكة
وأصابوا منهم ما أصابوا أقبل عمرو بن مالك
الخزاعي بأبيات قالها . فوقف على رسول
الله ﷺ وهو جالس في المسجد بين أظهر
الناس . فقال :

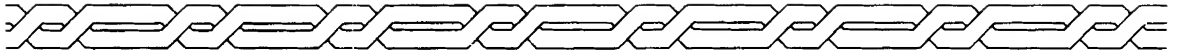
يا رب إنني ناشد محمدا
حلف أبينا وأبيه الأ تلتدا
قد كنت والدا وكنا ولدا
وزعموا أن لست أدعو أحدا
وهم أذل وأقل عددا
هم بيتونا بالوتير هجدا
وقتلونا ركعا وسجدا
فانصر هداك الله نصرا أبدا
وادع عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا
إن سيم خطة وجهه تربدا
في فيلق كالبحر يجري مزبدا
قال ابن هشام : فقال رسول الله
ﷺ نصرت يا عمرو بن سالم (٢) .

وعرضت قتيلة بنت النضر بن
الحارث للنبي ﷺ وهو يطوف ،
فاستوقفته ، وجذبت رداءه حتى انكشف
منكبه ، وقد كان قتل أباه ، فأنشدته : (٣)

(١) العقد الفريد ٣/٢٨٥

(٢) العقد الفريد ٣/٢٨٦

(٣) العمد ١/٥٦ من صاحب المغازي ابن اسحق وعمرو بن هشام .



يا راكبا إن الأثيل مظنة

من صبح خامسة وأنت موفق
أبلغ به ميتاً بأن قصيدة

ما إن تزال بها الركائب تخفق
مني اليه ، وعبرة مسفوحة

جادت لمانعها وأخرى تخنق
هل يسمعي النضر ان ناديته

أم كيف يسمع ميت لا ينطق
ظلت سيوف بني أبيه تنوشه

لله أرحام هناك تشقق
قسرا يقاد الى المنية متعبا

رسف المقيد وهو عان موثق
أحمد ها أنت نجل نجبية

من قومها والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو مننت وربما

من الفتى وهو المغيظ المحنق
والنضر أقرب من قتلت وسيلة

واحقهم ان كان عتق يعتق
فقال النبي ﷺ ، لو كنت سمعت شعرها هذا

ما قتلت .

الرسول الكريم يثنى على الشعر ويكرم
الشعراء

لقد ذكر الرسول الكريم الشعر
بخير ، وأثنى على الشعراء أطيب الثناء وهو اذ
يفعل ذلك انما يحث الناس على كلمة الحق

التي تنفع الامة وتعود على المؤمنين بفائدة .

انه يؤكد للناس أن الشعر ينطوي
على العبرة والموعظة والحكمة الخالصة ،
ويبين لهم ان من الشعراء الاطهار من لا
يقول رفثاً ولا يتكلم بمعصية أو ينطق
بباطل .

ولم يكن ﷺ ليكتفي بالقول ثناء
بل تعداه الى المكافأة والتكريم اللذين
يرجوها الشعراء عادة من رؤساء القبائل
وأمرء العرب وملوكهم فكيف من نبي مرسل
ورسول كريم .

لقد بلغ من تكريم الرسول الكريم
للشعر والشعراء أن وضع لحسان بن ثابت
رضي الله عنه منبرا في المسجد وطلب اليه ان
يفاخر المشركين وأن ينافع عن رسوله الامين
وهو الى ذلك يمنح المستحق بردا وحلة من
أرديته الكريمة وثيابه النظاهرة وهي عند
شعراء الايمان وألسنة الدعوة أغلى وأثمن من
كل أموال الارض .

عن أبي بن كعب رضي الله عنه عن
النبي ﷺ قال : ان من الشعر حكمة^(١)
وروى : « عن ابن عباس رضي الله عنهما
قال : جاء أعرابي الى النبي ﷺ فجعل
يتكلم بكلام فقال رسول الله ﷺ : ان من

(١) رواه البخاري وأبو داود والترمذي

فكساه بردا اشتراه منه معاوية بعشرين ألف درهم وإن ذلك البرد لعند الخلفاء إلى اليوم^(٤) .

الرسول الكريم يدعو للشعراء

إن خير ما يرجو الشعراء المؤمنون وأطيب ما يتمنون أعظم من كلمة الثناء أو موقف التكريم أو عطاء الواهب أن ينالهم من دعاء الرسول الكريم لهم بالجنة أو حسن الثواب ، وقد دعا الرسول الكريم ﷺ لعدد من الشعراء في مواقف متعددة تمثل رضاه عن الشعر والشعراء ما التزموا الخير وكان بينهم وبين الدعوة اصره ووثاق لا تنفصم عراه :

انشده حسان بن ثابت حين جاب جواب عنه أبا سفيان بن الحارث بقوله : هجوت محمدا فأجيبته عنه وعند الله في ذاك الجزاء فقال له : جزأوك عند الله الجنة يا حسان

فلما قال :

فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء قال له : وقاك الله حر النار . فقضى له بالجنة مرتين في ساعة

البيان لسحرا وإن من الشعر حكما^(١) . وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : وهو يقص في قصصه وهو يذكر رسول الله ﷺ : أن أخاكم لا يقول الرفث يعني بذلك ابن رواحة رضي الله عنه :

وفينا رسول الله يتلو كتابه إذا انشق معروف من الفجر ساطع أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا به موقنات أن ما قال واقع يبيت يجافي جنبه من فراشه إذا استثقلت بالمشركين المضاجع

وجاء في حاشية التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح للحسين بن المبارك الزبيدي ، قول الهيثم والزهرى^(٢) .

« عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان النبي ﷺ يضع لسان منبرا في المسجد يقوم عليه قائما يفاخر أو ينافح عن رسول الله ﷺ ويقول رسول الله ﷺ :

إن الله يؤيد حسان بروح القدس ما يفاخر أو ينافح عن رسول الله ﷺ^(٣) .

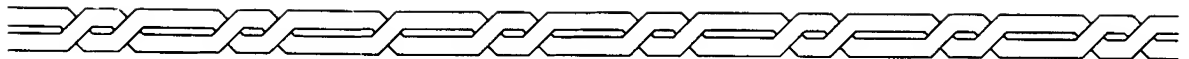
ومدح عباس بن مرداس رسول الله ﷺ فكساه حلة ، ومدحه كعب بن زهير

(١) رواه أبو داود ج ٥ / ٢٧٧ ، ٢٧٨ .

(٢) التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح ،

(٣) رواه أبو داود ٥ / ٢٨٠

(٤) العقد الفريد ج ٣ ص ٣٩٣



واحدة وسبب ذلك شعره^(١)

وعن الاصمعي قال : جاء رجل الى
النبي ﷺ فقال : انشدك يا رسول الله ؟
قال نعم ، فأنشده :

تركت القيان وعزف القيان

وأدمنت تصلية وابتهاالا

وكر المشقر في حومة

ونشني على المشركين القتالا

أيا رب لا أغبنن صفقتي

فقد بعث مالي وأهلي بدالا

فقال النبي ﷺ : ربح البيع ، ربح
البيع^(٢)

وقدم أبو ليلى النابغة الجعدي
على رسول الله ﷺ فأنشده شعره الذي
يقول فيه :

بلغنا الساء مجدنا وجدودنا

وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فقال له النبي ﷺ : الى أين يا أبا

ليلى ؟ فقال : الى الجنة يا رسول الله بك ،

فقال النبي ﷺ : الى الجنة ان شاء الله . فلما

بلغ قوله وانتهى وهو يقول :

ولا خير في حلم اذا لم تكن له

بوادر تحمي صفوه ان يكدر

ولا خير في جهل اذا لم يكن له

حليم اذا ما أورد الأمر اصدرا

قال النبي ﷺ لا يفضض الله

فاك . فعاش مائة وثلاثين سنة لم تنفض له

ثنية^(٣)

الرسول الكريم يتمثل بالشعر

لقد علمنا من خلال سرد النصوص

والوقائع كيف كان النبي ﷺ يحث الشعراء من

أصحابه على قول الشعر وكيف كان يثني على

الشعر ويكافئ الشعراء ويكرمهم بل كيف كان

يستجيب لاستغاثة الملهوف من الشعراء فيحرك

عاطفته ويستثير وجدانه ، وانه صلوات الله

عليه كان يدعو لهم بالجنة وحسن الجزاء .

ولا بد من تقديم صورة أخرى تمثل

رأي النبي الكريم في الشعر والشعراء ذلك أنه

كان ﷺ يتمثل بين الحين والآخر بالشعر مما

كان يحفظه أو يستمع له .

وسواء أكان تمثله بالشعر مستقيم

الوزن أو أنه كان يعتمد الى الاخلال بوزنه عن

قصد ليعمق في أذهان اصحابه والناس جميعاً أنه

صاحب دعوة لا صاحب شعر وأنه رسول كريم

لا شاعر فإن ذلك يشير الى أن ترديد الشعر أمر

لا غبار عليه بل السوء كل السوء فيما يقال من

(١) العمدة ج ٢

(٢) العقد الفريد ٣/٣٨٣

(٣) العقد الفريد ٣/٣٨٣

وثبت الاقدام ان لا قينا
ان الأولى قد بغوا علينا
إذا أرادوا فتنة أيننا^(٤).

وعن أنس رضي الله عنه قال : خرج
رسول الله ﷺ الى الخندق فاذا المهاجرون
والانصار يحفرون في غداة باردة فلم يكن لهم
عبيد يعملون ذلك . فلما رأى ما بهم من النصب
والجوع قال :

اللهم ان العيش عيش الآخرة
فاغفر للانصار والمهاجرة
فقالوا مجيبين له :

نحن الذين بايعوا محمدا
على الجهاد ما بقينا ابدا
وعنه في رواية أنهم كانوا يقولون :
نحن الذين بايعوا محمدا
على الاسلام ما بقينا ابدا
وهو يجيبهم :

اللهم لا خير الاخير الاخرة
فبارك في الانصار والمهاجرة^(٥)
وقد كان رسول الله ﷺ ينقل اللبن
مع القوم في بناء المسجد وهو يقول :

قول فاحش أو كلام منكر سواء تردد على لسان
خطيب أو لسان شاعر .

عن جندب رضي الله عنه قال : بينا
النبي ﷺ يمشي اذ أصابه حجر فعثر فدميت
أصبعه فتمثل يقول .

هل أنت الا أصبع دميت
وفي سبيل الله ما لقيت^(١)
وسئلت عائشة رضي الله عنها ، هل
كان النبي ﷺ يتمثل بشيء من الشعر؟
قالت : كان يتمثل بشعر ابن رواحة ويتمثل
ويقول : ويأتيك بالأخبار من لم تزود^(٢) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن
رسول الله ﷺ قال : أصدق كلمة قالها الشاعر
كلمة لبيد : الأكل شيء ما خلا الله باطل ،
وكاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم^(٣)

وعن البراء رضي الله عنه قال : رأيت
النبي ﷺ يوم الأحزاب ينقل التراب وقد وارى
بياض بطنه وهو يقول :

لولا أنت ما اهتدينا
ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا

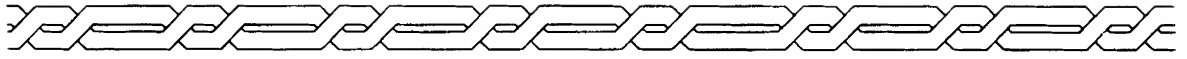
(١) رواه البخاري

(٢) رواه الترمذي

(٣) رواه الشيخان والترمذي

(٤) رواه البخاري في الجامع الصحيح .

(٥) البخاري في الجامع .



هذا الحال لا حال خير
هذا أبر ربنا وأطهر^(١)
الرسول الكريم يدل الشاعر على ما هو
أفضل

لكعب بن مالك قصيدة طويلة يرد
فيها على هيرة بن أبي وهب ، وقد قال فيها :
مجالدنا عن جذمنا كل فحمة

مذرية فيها القوانس تلمع
ويروى أن الرسول ﷺ قال حين
سمع هذا البيت : ألا يصلح أن تقول :
مجالدنا عن ديننا ؟ فقال كعب ، نعم :
فقال رسول الله ﷺ : فهو أحسن فكان كعب
يقولها كذلك^(٢)

الرسول الكريم يذكر المسلمين بشعر حسان
ويستجيب لأمنية شعرية لشاعر الدعوة
عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما
قال : لما دخل رسول الله ﷺ عام الفتح رأى
النساء يلطمن وجوه الخيل ، فتبسم إلى أبي بكر
وقال : « يا أبا بكر ، كيف قال حسان »

فأنشده أبو بكر رضي الله عنه :

عدمنا خيلنا إن لم تروها
تثير النقع موعدها كداء

تظيل جياننا متمطرات
يلطمهن بالخمير النساء
فقال رسول الله ﷺ : « أدخلوها من
حيث قال حسان »^(٣)

الرسول الكريم يذم الشعر وسبب ذلك

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله
عنه عن النبي ﷺ قال : « لأن يمتلىء جوف
أحدكم قيحا حتى يريه^(٤) خير من أن يمتلىء
شعرا »^(٥)

وقال الامام أحمد حدثنا قتيبة ، حدثنا
ليث عن ابن الهاد عن مخنف مولى مصعب بن
الزبير عن أبي سعيد قال : بينا نحن نسير مع
رسول الله ﷺ بالعرج اذ عرض شاعر ينشد
فقال النبي ﷺ : خذوا الشيطان أو أمسكوا
الشيطان ، لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحا خير
له من أن يمتلىء شعرا »^(٦)

ومن الغريب أن ينبرى فريق من
الناس يستهجن الشعر ويستقبحه لموقف واحد
أو حديث معين للرسول الكريم ويتناسى كل

(١) في تخريج العلامة العراقي لاحاديث احياء علوم الدين قال : انفرد البخاري بهذا البيت في قصة الهجرة عن رواية عروة .

(٢) السيرة ق ٢ ص ١٣٦ والاغانى ج ١٥ ص ٢٨

(٣) البداية والنهاية ج : ٤ ص ٢٩٤

(٤) يريه : من الوري ، وهوداء يفسد الجوف

(٥) رواه مسلم في ١٧٦٩/٤

(٦) تفسير ابن كثير : تفسير سورة الشعراء ٣٥٣/٣



مواقف الثناء وأحاديث الحث على الشعر كما بينا من قبل .

ان المتدبر للامر المعن النظر فيما يقرأ يستطيع أن يدرك أن الذم قد قصد به شاعر معين في موقف خاص أو شعر معين من طراز خاص كذلك ولا يقبل عقلاً أو نقلاً أن يكون في موقف النبي الكريم تناقض أو في أوامره تعارض واختلاف حيث نراه يثنى على عدد من الشعراء خيراً وعلى طراز معين من الشعر ثم اذا به في موقف آخر يذم الشعر والشعراء فيقبل بالقيح دون الشعر في جوف المرء ، أو يسمي شاعراً من الشعراء شيطانا .

لقد بات واضحاً أن الاسلام قرأنا وسنة ميز شعراء الدعوة عن شعراء الوثنية وخص شعراء الايمان والخير بالثناء العطر بينا خص شعراء الكفر والشر بالخزي واللعنة والصغار .

وأما قوله عليه الصلاة والسلام: «لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحاً حتى يريه خير له من ان يمتلىء شعراً» فإنه فيمن غلب الشعر على قلبه وملك نفسه حتى شغله عن دينه واقامة فروضه ومنعه من ذكر الله تعالى وتلاوة القرآن والشعر وغيره - مما جرى هذا المجرى من شطرنج وغيره سواء (١)

نستطيع أن نتبين مما ورد من نصوص صريحة وأحداث ثابتة وقعت في حياة النبي

ﷺ أن الشعر حظي منه بالتكريم ، وأن له في تاريخ الدعوة الإسلامية مكانة ، وأن الشعراء قد نالوا من ثناء الرسول عليهم ودعائه لهم ومكافأته اياهم ما يؤكد رضاه ﷺ عن الشعر العف الهادف والشعراء الاطهار .

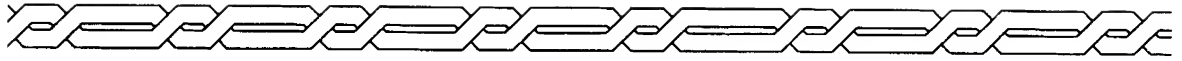
واننا لنراه ﷺ يحث من يحسن أن يقول الشعر من أصحابه أن يقوله في المناسبات التي تدعو لذلك .

وهكذا عرفت الدعوة الاسلامية السنة الحق الأمرين بالمعروف الناهين عن المنكر الذابين عن حياض الاسلام من شعراء الهدى والدعوة الى الله .

لقد كان الناس أنماطاً ونماذج شتى وهم يقبلون على دعوة الله ، فمنهم من آمن مصداقاً رسول الله الصادق الأمين الذي ما عرف عنه الكذب قط ، ومنهم من أعمل عقله وتدبر أمره وراح يتفكر فيما دعي اليه فأمن ، وفريق أقبل على الدعوة لجميل ما لمس وكريم ما رأى من سلوك المؤمنين الدعاة ، ومنهم من آمن لاعجاز القرآن أو فصاحته .

ومع ذلك فإننا نجد للشعر أناساً يقدرونه ويحفلون به إعجاباً بشاعر أو خوفاً من هجاء كما حدث لوفد بني تميم ورئيسهم الأقرع بن حابس الذي قال : لخطيبهم - ويعني خطيب المسلمين - أخطب من خطيبنا وشاعرهم

(١) البخاري في الجامع .



أشعر من شاعرنا .. ثم آمنوا ودخلوا في الاسلام وحسن اسلامهم .

ولم تقف مهمة الشعر في عهد الرسول الكريم عند حد الدعوة المباشرة الى الله أو هجاء المشركين واعداء الدعوة بل اننا لنراه في ميادين العمل وساحات الجهاد يردده أصحاب النبي ويتمثل به ﷺ .

ولم يمنع نزول الوحي يومئذ وحفظ المسلمين لآيات من القرآن الكريم وحفظ بعضهم لكل ما كان ينزل من أن يلجأ المسلمون الى الشعر يرددونه على ألسنتهم بين يدي الرسول سواء أكان في مجالس الراحة والسر ، أم في مواقف الجد العصبية باعتباره نشيد عمل وكفاح وحاء معركة وجهاد في سبيل الله .

محمد ﷺ رسول لا ناقد

وعلى الرغم مما سقناه من نصوص وأوضحناه من قول حول رأي الرسول الكريم في الشعر والشعراء فانه صلوات الله عليه وسلامه لم يكن فيما قال من آراء وفيما عقب من كلام على الشعر والشعراء - ناقدًا أدبيا تناول جوانب القوة والضعف ، أو القبح والجمال الفني في شعر شاعر ذلك أنه قد بعث نبيا لأمة ورسولا للخلق ولم يبعث ناقدًا أوحكمًا بين الشعراء .

وفي ذلك يقول الأستاذ العقاد :
وقد نقلت إلينا تعقيبات معدودة عن رأي النبي في الشعر والشعراء لا تدخل في النقد الفني وتدخل في كلام الأنبياء الذين يقيسون الكلام بقياس الخير والصلاح والمطابقة لشعائر الدين وسنن الصدق والفضيلة^(١)

وقد استحسن ما قيل من الشعر في النضح عن الاسلام والذود عنه وعن آله . فكانت آراؤه هذه وشبهاتها آراء الانبياء فيما يحمدون من كلام ، لانهم قد بعثوا لتعليم الناس دروس الخير والصلاح ، ولم يبعثوا ليلقنهم دروسهم في قواعد النقد والانشاء^(٢) .

ما كان النبي شاعراً قط

لقد ركز القرآن الكريم على نفي صفة الشعر أو قوله عن النبي ﷺ ولم يكن ذلك تحريماً للشعر أو ازدياً للشعراء وتحقيراً لمكانتهم ، وإنما كان لأسباب واضحة بينة اهمها :

أولاً : ان النبي لم يكن في الحق شاعراً ولم يقل الشعر قط ، وبذلك يكون نفي قول الشعر عنه تقريراً لواقع وذكرًا لحقيقة لا استهجاناً للشعر أو ازدياً لقائله . ولو اتهم المشركون رسول الله بأنه ظبيب بارع مثلاً وكان بين التهمة والرسالة ارتباط لما استبعد أن ينزل في ذلك قرآن ينفي التهمة الباطلة والزعم المردود مثلاً نفى القرآن صفة الألوهية عن السيد

(١) عبقرية محمد للعقاد .

(٢) عبقرية محمد للعقاد .

الشاعر بالشعر للشر ولم ينسبها للخير . فقالوا
(شيطان الشعر) ولم يقولوا (ربة الشعر) كما
تعود اليونان أن يقولوا .

وكان الشاعر اذا هجا ربما خرج على
الناس في زي غير مألوف ، وبالغ في مسخ
شكله وتشويه خلقته . قال الرافعي في تاريخ
الأدب نقلاً عن أمالي المرتضى ١ : ١٣٥
« وكان القيسيون قد صدوا النعمان عنهم
فأرادوا تقديم لبديليرجز بالربيع بن زياد رجزاً
مؤملاً ممحضاً - وكان هو الذي صرف الملك بالطعن
فيهم وذكر معايبهم فحلّقوا رأسه ، وتركوا له
نؤابتين وألبسوه حلة . وغدوا به معهم فدخلوا
على النعمان ، فقام وقد دهن أحد شقي رأسه
وأرخی ازاره وانتعل نعلا واحدة ، قال : وكذلك
كانت الشعراء تفعل في الجاهلية اذا أرادت
الهجاء .

ونقل الرافعي كذلك عن الأغاني
ج ٤ ص ٣ . وكان زي حسان بن ثابت في
خضابه . فكان يلوث شاربيه وعنفقته بالحناء
دون سائر لحيته ، فيبدو لأول وهلة كأنه أسد
والغ في الدم . وروى الآلوسي في بلوغ الأرب :
(والشاعر منهم كان اذا اراد الهجاء دهن احدى
شقي رأسه وأرخی ازاره وانتعل نعلا
واحدة) (١) .

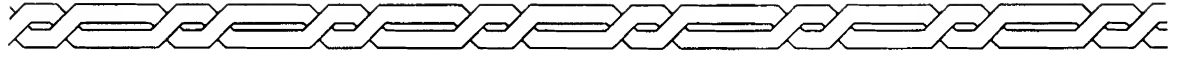
ثالثاً : أن كثيراً مما كان يقال من

المسيح لأنه ليس كما زعم المبطلون بل رسول
رب العالمين .

ثانياً : ان قريشاً اتهمت الرسول عليه
السلام تهماً باطلة منها : أنه كان ساحراً كاهناً
مجنوناً كاذباً يروي أساطير الأولين وأنه كان
شاعراً فوردت الآيات الكريمة تفند كذب
المشركين وباطل الكافرين وترد التهمة وتنفي
الزعم ، وأن بين الشعر والسحر والجنون
والكهانة في أذهان العرب قديماً رباطاً وعلاقة
تقوم على الغوص والقوة والرغبة كما يؤكدون
العلاقة بين السحر والشعر ذلك أن لكل من
الساحر والشاعر مارد من الجن يحركه ويوحى له
أفكاره وأخباره . كما أن لكل منهما تأثيراً على
المستمعين لسحر الساحر أو شعر الشاعر على حد
سواء .

« ووجه التشبه بين السحر والهجاء
واضح . فالسحر كلمات تقال فيصيب شرها
المسحور ، وينصب ما تضمنت من لعنة على
المقصود بالأيذاء ، والهجاء كذلك كلمات تقال
فيها معنى الشر واستمطار اللعنة ، والساحر
يتوسل الى شياطينه وأرواحه الشريرة ان تعينه
على إلحاق الأذى بالمسحور ، والهجاء يستلهم
شياطينه الهجاء ويستعينه على المهجو . ولذلك
غلب بذكر شياطين الشعر في الهجاء بنوع
خاص كما هو واضح في الأمثلة التي قدمناها .
ولأمر ما نسب الناس هذه القوة الخفية التي تمد

(١) الهجاء والهجاؤون في الجاهلية للدكتور محمد حسين ص : ٦٧/٦٨



الشعر في الجاهلية من مدح رخيص وهجاء مقذع وغزل فاجر وفخر كاذب كان يتنافى مع أبسط قواعد الخلق والاستقامة لدى الانسان السوي فما بالك بنبي كريم ورسول عظيم ، ونفي صفة الشعر عنه شيء أساسي لتمييز شخصية الرسول الصادق الأمين من شخصية الشاعر الذي عرف يومئذ مزوراً ماجناً كاذباً متكبساً .

رابعاً : أن في القرآن الكريم وآياته العظيمة جرساً موسيقياً أخاذاً، له على المستمع تأثير كبير حاول الجاهليون ان يخلطوا بينه وبين الشعر الموزون المقفى فجاءت الآيات الكريمة تحدد لهم مفهوم الرسالة وشخصية الرسول ، وتفرق لهم بين أسلوب الشعر ، وتبين لهم ان كلام الله غير كلام البشر ، وأن شخصية الرسول غير شخصية الشاعر ، وأن تأثير القرآن واعجازه ومحكم تنزيله غير تأثير الشعر وأوزانه وقوافيه .

قال تعالى :

« وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقرآن مبين * لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين » (١) .

وبذلك يؤكد القرآن أن الله لم يعلم رسوله الشعر ولم يوجهه اليه ، ليميز بين القرآن والشعر وبين الرسول والشاعر ، ويوضح أن القرآن ذكر من الله نزل على قلب نبيه لينذر

الناس ويبين لهم طريق الخير وطريق الشر ويدعوهم الى نعيم الجنة ويحذرهم من عذاب النار فمن أعرض عن دعوته وكذب برسائله كان من الكافرين الذين يحق القول عليهم بالعذاب الأليم .

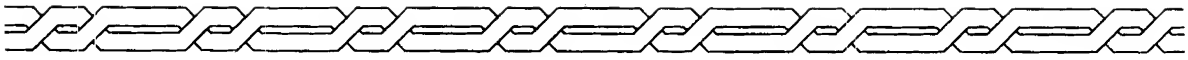
قال تعالى :

« اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون * ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون * لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا الا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون * قال ربي يعلم القول في السماء والأرض وهو السميع العليم * بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراء بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الاولون * ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون * وما أرسلنا قبلك الا رجالا نوحى اليهم فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » (٢)

وكلما أصر الكافرون على أن رسول الله شاعر أو كاهن أو مجنون يفتري القول ويدعي النبوة تناول القرآن التهمة وردّها بل وسفه أحلام مروجيها مبيناً لهم أن الرسالة غير الكهانة وأن النبوة غير السحر والشعر منبهاً عقولهم الى التفكير والتدبر في أمر رسول رب العالمين الذي لا ينطق عن الهوى ولا يفتري القول على الناس أو يدعي النبوة ادعاء ، واتنا

(١) الايتان ٦٩ - ٧٠ من سورة يس

(٢) الايات ١ - ٧ من سورة الانبياء



اذ لم يكن الرسول شاعراً كما لا ينال من قدر الكتاب ولا يمتحن الكتابة اذ يبعث عليه السلام أمياً .

« ولعل بعض الكتاب المنتصرين للنشر الطاعنين على الشعر . يحتاج بأن القرآن كلام الله تعالى منشوراً وأن النبي ﷺ غير شاعر . لقول الله تعالى : (وما علمناه الشعر . وما ينبغي له) ويرى انه قد أبلغ في الحاجة ، وبلغ في الحاجة والذي عليه في ذلك أكثر مما له ، لأن الله تعالى انما بعث رسوله أمياً غير شاعر الى قوم يعلمون منه حقيقة ذلك . حتى استوت الفصاحة واشتهرت البلاغة ، آية للنبوة ، وحجة على الحق ، واعجازاً للمتعاطين ، وجعله منشوراً ليكون أظهر برهاناً لفضله على الشعر الذي من عادة صاحبه أن يكون قادراً على ما يحبه من الكلام وتحدى جميع الناس من شاعر وغيره يعمل مثله فأعجزهم ذلك ، كما قال الله تعالى :

« قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً » فكما أن القرآن أعجز الشعراء وليس بشعر ، كذلك اعجز الخطباء وليس بخطبة والمرسلين وليس بمرسل ، واعجازه الشعراء أشد برهاناً ، ألا ترى كيف نسبوا النبي ﷺ الى الشعر لما غلبوا وتبين عجزهم ، فقالوا

لنرى القرآن يتحداهم حيناً أن يأتوا بسورة من مثله إن كانوا صادقين في ما ينسبونه للنبي من صفة الشعر وفيهم الشعراء الذين لا يجارون ، وحيناً يسفه أحلامهم ويهزأ بتفكيرهم ويصر على حقيقة النبوة وصدق الرسالة .

« فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون * أم يقولون شاعر نتربص به رب المنون * قل تربصوا فإنني معكم من المتربصين * أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون * أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون * فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين »^(١)

وقال تعالى :

« ويقولون أننا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون * بل جاء بالحق وصدق المرسلين »^(٢)
وقال جل وعلا :

« فلا أقسم بما تبصرون * وما لا تبصرون * انه لقول رسول كريم * وما هو بقول شاعر قليل ما تؤمنون * ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون * تنزيل من رب العالمين »^(٣)

ولقد وفق ابن رشيق القيرواني في العمدة كل التوفيق اذ تناول هذا المعنى وبين أنه لا ينال من كرامة الشعراء أو يعنى امتهانهم

(١) الآيات ٢٩ - ٣٤ من سورة الطور

(٢) الآيتان ٣٦ - ٣٧ من سورة الصافات

(٣) الآيات ٣٨ - ٤٣ من سورة الحاقة



هو شاعر لما في قلوبهم من هيبة الشعر وفخامته ،
وانه يقع منه ما لا يلحق والمنثور ليس كذلك ،
فمن هنا قال الله تبارك وتعالى :

« وما علمناه الشعر ، وما ينبغي له »
أي لتقوم عليكم الحجة . ويصح قبلكم الدليل
ويشهد لذلك رواية يونس عن الزهري أنه قال :
معناه : ما الذي علمناه شعرا ، وما ينبغي له أن

يبلغ عنا شعرا .

وقال غيره ، أراد وما ينبغي له أن يبلغ
عنا ما لم نعلمه أي : ليس هو ممن يفعل ذلك
لأمانته ومشهور صدقه ، ولو أن كون النبي ﷺ
غير شاعر غرض من الشعر لكانت أميته غرضاً
من الكتابة وهذا أظهر من أن يخفى على
أحد»^(١)

يوسف العظم